

دلائل الإعجاز

واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزيّة في نظمه والحُسن كالأجزاء من الصّـبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثُر في العين . فأنت لذلك لا تُكبرُ شأن صاحبه ولا تقضي له بالحدّوق والأُستاذيّة وسعة الذّرع وشدّة المُندّة حتى تستوفي القطعة وتأتي على عدّة أبياتٍ وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما أنشدتُك من أبيات البُحْثريّ . ومنه ما أنت ترى الحُسن يهجمُ عليك منه دفعةً ويأتيك منه ما يملأ العين ضربةً حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرّـجُل من الفاصل وموضع من الحدّوق وتشهد له بفضل المُندّة وطُول الباع . وحتى تعلم - إن لم تعلم القائل - أنه من قِبَل شاعرٍ فحلّ وأنه خرج من تحت يدِ صَناعٍ . وذلك ما إذا أنشدتَه وضعت فيه اليد على شيءٍ فقلت : هذا هذا . وما كان كذلك فهو الشعرُ الشّاعر والكلامُ الفاخر والنمطُ العالي الشّـرِيف والذي لا تجدهُ إلا في شعرِ الفحول البُزُل ثم المطبوعين الذي يُلهمون القولَ إلهاماً .

ثم إنّك تحتاج إلى أن تستقري عدّة قصائد بل أن تَفْـلِي ديواناً من الشّعـر حتى تجمع منه عدّة أبياتٍ وذلك ما كان مثل قول الأَوَّل وتمثّل به أبو بكر الصّديق رضوانُ الله عليه حين أتاه كتابُ خالدٍ بالفتح في هزيمة الأعاجم - الوافر - :

(تمثّلنا ليلقانا بقومٍ ... تخالُّ بياضَ لأُمهم السّـرّابا) .

(فقد لاقيتُنا فرأيتَ حرّوباً ... عواناً تمنعُ الشّـيخَ الشّـرّابا) .

انظر إلى موضع الفاء في قوله :

(فقد لاقيتُنا فرأيتَ حرباً ...) .

ومثل قول العبدّاس بن الأحنف - البسيط - :